

كلمات بشأن النقد والناقد الأدبي



◆ عبدالحالق سلطان

هل الكتاب بحاجة الى نقاد ؟

لا أحد ينكر أهمية النقد في تطوير الفنون والآداب، وبعض الكُتّاب لا يالون جهداً في استدراج النقاد للكتابة حول نصوصهم، فهذه هي النقطة المهمة التي ينبغي الوقوف عليها، لأنها المحك الذي يبيّن مدى أصالة النص وبداعة النقد وصدقه.

توجد الكثير من النصوص الأدبية التافهة التي لا تستحق القراءة والكتابة عنها، لرداءة أسلوبها وهشاشة صياغتها ويتضح ذلك لكل من يقرأ ذلك النص، لكننا نتفاجأ حين نرى ناقداً له قلمه الثاقب يرفع بهذه الأعمال التافهة إلى مصاف الأعمال الإبداعية الخالدة، فيقوم بكتابة مقال أو دراسة طويلة يجسد فيها ما وراء الكلمات ويحمل النصوص والكلمات ما لا تحتتمل، فننتعجب ونتساءل في نواتنا ما الذي يدفع بناقداً له وزنه وقيمته بين الكتاب الى القيام بهذا الشيء ؟

هذا السؤال يرجعنا الى بداية هذه الفقرة الى الكاتب المفلس الذي يفتقر الى أدوات الكتابة، الكاتب الذي يريد ان يصل الى مرتبة الكتاب المبدعين، لكن ليس عن

كثيرة هي الأسئلة التي تطرح حول العلاقة بين الكاتب والناقد، وأقصد بالكاتب هنا الذي يمارس كتابة الأعمال الإبداعية المتمثلة بالشعر والقصة والرواية وما الى ذلك، وأقصد بالناقد الكاتب الذي يكتب عن الأعمال الإبداعية التي ذكرناها، والعلاقة لا تكاد تخلو من المجاملات والضغائن، لذا من الصعوبة التكهّن بطبيعة هذه العلاقة ونوعيتها، فهي تتوقف على شخصية كل من الكاتب والناقد وما يمتلكان من مؤهلات شخصية وخلفيات ثقافية واجتماعية ونفسية واقتصادية وفكرية تساهم في إبراز العلاقة التي يجب أن تكون موجودة، سواء كانت جيدة ام غير جيدة بنظر البعض؟

يوجه قلمه باتجاه التيار ولايحيد عنه، غايته جني المال والجري وراء المكافآت وارضاء الرؤساء، فهو لاء في أغلب الاحيان يصبحون أبواقا للسلطين وينفخون في الافكار دون ان يكون لهم فيها رأي، مهمتهم التزييق والتجميل والدفاع وان كان مخطئا، هذا الصنف من الكتاب موجود في كل الازمان والأماكن، لأنهم توابع لآخرين ويعيشون على فتات الموائد المستديرة وهذا حقهم؛ لأنهم ليسوا بكتاب وانما هم نفخة وأبواق لاغير!

وربما يدفع الانسان الى الكتابة في سبيل الترفيه عن ذاته والتنفيس عن مكبوتاته، فتاتي كتاباته عارية من العلمية ومنتشبة بالذاتية، فتراه يحقد على المجتمع الذي غدر به او والده الذي كان السبب في مجيئة الى الدنيا من دون ان يترك له ما يقوم به نفسه ويستتر به زلاته، فيحاول من خلال القلم التعبير عن الضغوطات النفسية السياسية والفكرية التي يتعرض لها في مسيرة حياه اليومية، فيجد في الكتابة مطبته الطيبة لتفريغ ما يحس به من مقت وحقد تجاه الانظمة السياسية والظلم الاجتماعي المكبوتة في داخله، فتاتي كتاباته وقد غلب عليها طابع النرفة والعصبية فيصدر الاحكام المطلقة البعيدة عن النظريات النسبية والموضوعية والبحوث العلمية التي ينبغي ان تكون المعيار الذي يقيم على اساسه الاعمال الكتابية!

الجمال والبحث عن كنه الاشياء وإبراز حقيقتها بأساليب فنية مبدعة، هي الاخرى تصبح احيانا بمثابة دافع يدفع بالقليلين من الناس الى مزاوله الكتابة، فياتون باعمال ابداعية بعيدة عن المجاملات السياسية والتزلف لأفكار ومعتقدات واشخاص بل ربما تؤدي في النهاية الى الصدام بكثير من الأشياء وتتضاد مع العديد من الافكار، لكونها تجابه بالعراقل والصعوبات والتحديات

طريق اعماله الابداعية التي لا يقدر الاتيان بها ، لأنه لا يحصل في ذاته بذور الابداع ،لكنه يريد ممارسة فعل الكتابة؟

لماذا يمارس البعض فعل الكتابة ؟

قلت فعل الكتابة كي نبعد الكتاب المبدعين عن شرك الاتهام، يلجأ الكثير من الناس في واقعنا الى ممارسة الكتابة بدافع الوصول الى أهداف وغايات وربما مناصب ادارية وريادية أوللتقرب من السلطة بقدر الامكان لتحقيق مكاسب مادية او الحفاظ على مكاسبهم داخل المجتمع وهذا حقهم، قد يلجأ البعض الى مزاوله الكتابة بدافع نيل الشهرة، فهناك الكثير من الناس يريدون ان يستقطبوا الأضواء لأنفسهم ويفرحون عندما يصيرون محل اهتمام الناس والكتابة والنشر في الصحف والمجلات مجال خصب لجذب هؤلاء الدخلاء على الأدب، فيغرقون الصحف بكتابات قد تكون غالبيتها ذات أفكار مسروقة أو غير مؤهلة للنشر، ذلك لأن دافعهم ليس ماهية الكتابة التي نشرت وأهميتها، بل دافعهم الاول والاخير هو عرض أسمائهم بالخط العريض الى جانب صورة فوتوغرافية براقة تجسد عقدة النرجسية التي يعيشها هذا الشخص في داخله، وهو يحاول جاهداً إبراز مكنوناته في حب الظهور القوية التي تدفعه الى الكتابة من دون أن يفكر ولو لمرة ان عملية الكتابة أصعب بكثير من عملية الولادة التي تمر بها النساء !

ربما يلجأ البعض الى رفع القلم والكتابة بدافع أقتصادي بحت ! فتراه يكتب في كل المجالات وكأنه بحر أو موسوعة من العلوم المتحركة من دون ادنى احساس بالمسؤولية فتراه يهاجم هذه الفكرة أو هذه الجماعة في هذا اليوم ونجده بعد يوم يدافع عنها دفاع المرید لإمامه! فهو انسان أمعة ليس له أي دين او فكر او مذهب!

هام في اظهار قيمة الاعمال الادبية، ثم من حق الانسان المبدع ان يُشار اليه والى أعماله بالبُنان بأبراز مكنونات ومواطن الجمال في إنتاجاته الابداعية التي تساهم في رقي المجتمع وتدفع بعجلة الحياة نحو التطور والتحضّر، هنا تكمن اهمية وخطورة دور الناقد الادبي الحقيقي الذي يحاول إبراز الحقائق كما هي، حقائق الاعمال الادبية من دون خوف أو خجل.

كيف نمارس عملية النقد؟

ينبغي على الناقد ان يكون موضوعيا في طروحاته ومنصفا في إبداء أحكامه غير عاطفي في اظهار رأيه بشأن أية فكرة مهما كانت، متجنباً الضغوطات النفسية والاجتماعية ومستعلياً عن الرغبات المادية التي تُسبب اللُعباب! هدفة الاساسي اظهار الحقائق وأبراز مواطن الجمال من وجهة نظره من خلال الاستعانة باساليب البحث والدراسة العلمية في التقييم دون الرضوخ لأحكام شخصية ومهارات ذاتية انانية التي تضفي على الكتابة نوعاً من التجريح والتدريج او كما يقول د.عبدالناصر حسن: مهما تكن القراءات النقدية التي تقارب الابداع الادبي فانها على كثرتها وتنوعها لا تكاد تخرج عن مواقف واتجاهات بعينها ازاء هذا الابداع وبوسع الدارس ان يستعرض القراءات الادبية المختلفة من زاوية محددة تتمثل فيما تطرحه هذه النظرية او تلك من أسئلة وإشكالية حول ماهية الابداع الادبي ووظيفته(3).

ممارسة النقد هي قبل أي شئ ينبغي ان تكون دافعا للتطور والنمو والازدهار او كما يرى جابر عصفور: احسب أن السمة الحاسمة التي تكشف عن أهم ما يميز به النقد الادبي المعاصر، في ممارسته العالمية، هي انه نقد لا يكف عن مساهلة ذاته في فعل مساهلة موضوعه، ولا

التي تمس أمن وسلامة الكاتب الذاتية، لكنه يصبر على ما كتب، لأنه مقتنع بان ما كتبه هو الصحيح، فتراه يندفع الى مزاولة فن التأليف والكتابة بهمة أقوى، يدافع عن كلماته وما افرزته بنات افكاره، على خلاف الآخرين الذين يتلونون بالوان الفصول الأربع فتتبيس كلماتهم على أوراقهم وتظل مينة لا روح فيها ولا نفس، لأنها ولدت من أقلام مينة تستمد أفكارها من أيعازات عقلية تدفعها نوازع انانية فقط دون أن تختلط بروح كاتبها وتتغذى من جمال عواطفه وأحاسيسهم الذاتية التي تغدق عليها نسيمات من الروح فتجعلها حية مدى الزمان.

لماذا النقد الادبي؟

النقد الادبي قد يعده البعض رافدا زائدا في الساحة الادبية ويعدون النقاد عالية على الأدب يعيشون على فتات المواد الابداعية الاخرى فيجدون الناقد انساناً فشل في انتاج وكتابة الأعمال الابداعية، فأضطرت الظروف الى الدخول في حقل النقد! فهو يرأي الدكتور عبدالله محمد الغذامي وما الناقد الا قارئ متطور غزا النص وفتح، ثم أخذ يروي أحداث هذه المغامرة(1) لكن الناقد بنظر الكثير من كُتّاب الأدب والفن شخص ضروري لا بد منه، فاذا لم يكن النقد موجودا فكيف ستميز مواطن الجمال والقوة والضعف والهزال في هذه النتاجات المطروحة؟ من الذي سيظهر عمق العمل الأبداعي؟ ثم كيف سنستدل على تأثيراته؟ او كما يقول الدكتور جابر عصفور في كتابه نظريات معاصرة: للعمل الادبي او الفني بوجه عام بنية جمالية دالة يتحدد طابعها الجمالي بما تنطوي عناصرها الادبية المكونة من تلاحم دال، يقودنا الى دلالة لاتنفصل عن تولد العمل وتحدد قيمته بالقدر الذي تحدد منهج دراسته" (2) فالدراسات النقدية لها دور

الكثيرة او كما يقول الناقد الادبي (بيرف. زيمبا) عن ضرورة النقد: (علوم البلاغة الايدولوجية لاتؤكد ان النص مازقي والحقيقة لا يمكن العثور عليها، لكن مع لغة نقدية نبين الى اي حد تتشابك الحقيقة مع الكذب الايدولوجي والى أي حد لا غنى عن النقد المفهومي و الايدولوجيا بالنسبة للبحث عن المضمون)(6).

عدم وجود الناقد الادبي مشكلة كبيرة ينبغي الوقوف عليها ودراستها لأنها برأيي ستكون المفتاح الذي به سيتخلص المجتمع في هذه المنطقة من برائن الثقافة المادية التي انغمس فيها حد الانوف، حاجتنا الى الناقد الادبي الحقيقي تزداد يوما بعد يوم، لأننا به سنردم الهوة التي تكونت بين المجتمع والادباء والمفكرين، حيث صار كل شق في واد وكل طرف يلوم الاخر! الأديب متمسك في زاويته يتذمر من كل شئ ويتعرض لكل المفاهيم التي تسود مجتمعنا ألا أن المجتمع غارق في واد آخر، غير عاجي بما سيؤول اليه مصيره، فهو باق على جهله وتمسكه بزخارف الأشياء وظواهرها وابتعاده عن جوهر الحقيقة!

انها مهمة الناقد ان يصل الأفكار ويفصل فيها ويبين نتائجها للناس لكي يدركوا ان تطور الأمم يكون بالعلم والثقافة لا بجمع الاموال وبناء القصور الفخمة والأبراج العالية فقط ويظهر لهم ان التطور يكون بالاعتماد على الذات لا الاتكال على الغير في كل الاشياء حتى التفكير!

تتناقض حدة وعيه بحضوره النوعي بل تزداد يوما بعد يوم، خصوصا حيثما يقوم هذا النقد من مراجعة مستمرة لمفاهيمه وتصوراته ومحاسبة متصلة لإجراءاته وأدواته، تعميقا لمغزى ممارساته أو تطويرا لتقنياته(4)

الناقد الذي لايضع هذه المعادلة أمام عينيه، تكون معظم أحكامه غير سليمة ولا تصب في المصلحة العامة بل قد تصنف في خانات اخرى كالإرتزاق والانانية والتجريح ومحاولة التهكم بأخرين، فهذه المعادلة تجعل الناقد ينظر الى الاعمال الادبية نظرة طبيعية والتي على أساسها سيكون تقييمه لتلك الاعمال تقييما موضوعيا وسيكون الناقد من الذين قال زاده شت فيهم: "أعمل كي تكون من زمرة الاشخاص الذين يساهمون في سبيل رقي هذا العالم"(5).

مهنة الأفتقار الى النقد!

الكثير من النتاجات الادبية تملأ المكتبات عندنا في دهوك، لكن من الذي سبر أغوار هذه النتاجات وأظهر ما تحويه من درر وأماس، إنه الناقد الذي نفتقر اليه، الناقد الذي يحث الخطى مع الكتاب و يسير بجانبهم يبرز الطاقات الابداعية التي يمتلكها كتابنا، لكنها ما تزال مخفية امام أعين الناس، الناقد الذي يثير القارئ بمقالاته الانتقادية حول ما جاء في بطون تلك الكتب

- (1) الخطيئة و التكفير من البنيوية الى التشريحية.د.عبدالله محمد الخزامي، ص8
- (2) نظريات معاصرة، جابر عصفور، ص122
- (3) نظرية التوصيل، د.عبدالناصر حسن، ص2
- (4) نظريات معاصرة، جابر عصفور، ص9
- (5) تيارات الفلسفة الشرقية، محمد حسن، ص9.
- (6) التفكيكية دراسة نقدية، بيرف. زيمبا، ص179

الهوامش